﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ [الطارق: 15 - 17]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

تسلية الرَّسول ﷺ والمؤمنين وتَثْبيتُهم في مواجهة كَيْدِ الكافِرين

بعد أن أقْسَمَ اللّه تَعالى في الآيات السّابقة بالسَّماء ورَجْعِها والأرضِ وصَدْعِها على أنَّ القرآنَ قولٌ فصْلٌ، وجِدٌّ خالٍ من أيِّ هزل؛ ناسَبَ في هذه الآياتِ أن يُسَلّيَ رسولَهُ ﷺ والمؤمنينَ معَهُ، ويُثَبِّتَهم في مواجهة كَيْدِ الكافرين ومَكْرِهم، ويَدْعوهُم إلى إمْهالِهم والصَّبر عليهم حتَّى يقضيَ اللّه تَعالى فيهم أمرًا كان مَفْعولًا[1].

❁ شَرْحُ المُفرداتِ:

1) ﴿يَكِيدُونَ﴾: (كيد) أَصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ عَلى مُعالَجَةٍ لِشَيْءٍ بِشِدَّةٍ، ثُمَّ يَتَّسِعُ البابُ ليشمَل: المَكْر والخِداعَ والاحْتيالَ[2]، وكلُّ ما في القرآنِ مِنَ التَّركيب هو بمعنى: التَّدبير المُحْكَم الشَّديد وتنفيذه، والكيدُ قد يكونُ مَذْمومًا، وقد يكون مَمْدوحًا، وإن كان يُسْتَعْمَل في المَذْموم أكثَر، فمِن المَمْدوح قولهُ تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: 76]، وقوله تعالى: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف: 183]، وقوله: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾، وكيدُ اللّه تَعالى معناه: الإيقاعُ بأعدائه على وجهٍ خفيٍّ لا يتفطَّنونَ إليه، ومن الكيد المذموم قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [يوسف: 52]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾، وكيدهم معناه: التَّدبير بالباطِل[3].

2) ﴿فَمَهِّلِ﴾: (مهل) أَصْلانِ صَحيحانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُما عَلى

(1) طنطاوي، التَّفسير الوسيط: 15/ 357.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (كيد).
(3) الرّاغب، المُفردات، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (كيد).

تُؤَدَةٍ، يُقال: أمهلَه: أنْظَرَهُ ومهَّله تَمْهيلًا، والاسْمُ المُهْلة -بالضَّمِّ-، والاسْتِمْهالُ: الاستنظارُ، وتَمَهَّلَ في أمره؛ أيْ: اتَّأَدَ، قال تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾[1]، ومعناه: فلا تدع عليهم، ولا تستعجِل لَهُم بالإهلاكِ[2].

3) ﴿رُوَيْدًا﴾: اسْمٌ لا يُتكلَّم بهِ إلّا مُصَغَّرًا مأمورًا به، وهو تصغيرُ رودٍ، وهو: المَهَل[3]، قال تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ أي: إمهالًا يسيرًا، فستكون عن قريبٍ لَهُم أمور[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

العاقِبَةُ للرَّسول ﷺ وأتباعِهِ المؤْمِنين

خَتَمَ اللّه تعالى السّورة الكريمَةَ بهذهِ الآياتِ؛ تسليةً للرَّسول ﷺ وتبشيرًا له وللمؤمنينَ بحُسْنِ العاقِبَة، وفيها يُخْبِرُه بأنَّ هؤلاء المُشْرِكين يَحيكونَ المكايدَ لإبطال أمْرِك أيُّها الرَّسول الكريم، وإنّي أُقابِلُ كيدَهُم ومَكْرَهُم بما يُناسِبُه من استدراجِهم مِن حَيْثُ لا يَعْلَمون، ثُمَّ آخذهم أخذَ عزيزٍ مُقتَدِرٍ، فتَمهَّل أيُّها الرَّسول الكريم مع هؤلاء المُشْرِكين، ولا تَسْتَعْجِل عِقابَهُم، وانتظِر تدبيري فيهم، وأمْهِلْهُم وأنْظِرْهُم رُوَيْدًا؛ أي: إمهالا قريبًا أو قليلًا، فإنَّ كُلَّ آتٍ قريبٌ، وقد حقَّق سُبْحانَهُ لنَبيِّه وعْدَهُ؛ بأن جعَلَ العاقِبَةَ لَهُ ولأتباعِه[5].

❁ الإيضاحُ اللّغويّ والبَلاغيُّ:

سِرُّ فصْلِ الآياتِ عمّا قَبْلَها:

الكافرون يُضِلّون النّاسَ عن اتّباعِ القُرآن بتعِلّاتٍ مُلفَّقةٍ

جاءت جُملة: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ﴾ مفصولةً عَمّا قَبْلَها؛ لشِبْهِ كمالِ الاتِّصال، الذي تُجيبُ فيه الجُملةُ المفصولةُ عن سؤالِ سائِلٍ يَعْجَب من إعراضهم عن القرآنِ الكريمِ مع أنَّه قَوْلٌ فصلٌ، ويَعْجَب

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والجوهري، الصِّحاح: (مهل).
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 385.
(3) السُّيوطي، مُعترك الأقران: 2/ 205.
(4) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 386.
(5) طنطاوي، التَّفسير الوسيط: 15/ 357، 358.

مِن معاذيرِهم الباطِلَة، مِثْلَ قولهم: هو هَزْلٌ أو هَذيانٌ أو سِحْرٌ، فبَيَّنَ للسّامع أنَّ عملَهم ذلك كيدٌ مقصودٌ، فهم يَتَظاهَرونَ بأنَّهم ما يَصْرِفُهُم عن التَّصديق بالقرآن إلّا ما تحقَّقوه من عدم صِدْقِه، وإنَّما يَصْرِفُهم عن الإيمانِ به الحِفاظُ على سيادَتِهم، فيُضلِّلون عامَّتَهُم بتلك التَّعلّات المُلَفَّقة[1]، ويجوزُ أن تكون الجُمَلُ السّابقة التي تُؤكِّد أنَّ القُرآن الكريمَ ﴿فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ مُثيرةً في نَفْسِ السّامع سُؤالًا يَتَعَرَّف به ما كان مِن أمْرِ الكافرين الذين اتَّهموا الرَّسول ﷺ بأنَّه يهزَلُ عندَما أخبرهم بإرجاع الرِّمَم الفانيَة، فتأتي هذه الآياتُ لتُبَيِّن أنَّهم مُسْتَمِرّون في كَيْدِهم، وتَأْمُرُ الرَّسولُ ﷺ بالصَّبْر عليهم حتَّى يَحينَ وقتُهم[2].

دلالَةُ تتابُعِ المؤكِّدات في الجُمْلَةِ:

جاءت جُملَة التَّعليل مُؤَكَّدَةً بإنَّ والجُملةِ الاسميَّة، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ﴾ للإبلاغ في تحقيقِ الكلام وتأكيدِه؛ لأنَّ إصرار الكُفّار على الكَيْدِ والمَكْر بعدَ البَيان الصَّريح من ربِّ العالمين بأنَّ القرآن ﴿فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ مَحَلُّ استغراب واستبعادٍ، وقد يَتَعَجَّب منه السّامع ويَنْدَهِشُ انْدِهاشًا يُحْوِج إلى التَّأكيد[3].

إصرار الكافرين على الكَيْدِ بَعْدَ كلام ربِّ العالمين محلّ اسْتِبْعاد واسْتِغْرابٍ

بيانُ مَرْجِعِ الضَّمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾، ووجهُ التَّعبير به عنهُم:

الضَّمير المنصوب في ﴿إِنَّهُمْ﴾ يرجع إلى الكافرين بوجهٍ عامٍّ، ويدخلُ فيهم كُفّار مكَّة[4] دخولًا أوَّليًّا؛ لأنَّهم الذين تولَّوْا كِبْرَ اتِّهامِ الرَّسولِ ﷺ بالهَزْلِ إبّان نُزول القرآنِ عليه، ووجهُ التَّعبير عنهُم بالضَّمير هو تحقيرُهم وازْدِراؤُهُم والتَّقليلُ مِن شأنهم، ودعوةُ الرَّسول ﷺ إلى المُضيِّ في طَريقِه وعدَمِ الاكْتِراث بهِم.

التَّعبيرُ عن الكافرين بالضَّمير فيه ازدراءٌ لَهُم وتحقيرٌ لشأنِهم

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 267.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 384.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 267.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 142.

سِرُّ التَّعبير بالفعل: ﴿يَكِيدُونَ﴾ مادَّة وصيغَةً:

الكافرون لا يَنْفَكّون عن اتِّهام الرَّسول ﷺ والقرآن بأبشَع التُّهَم، وأخسِّ الصِّفات

عبَّر النَّظم الكريم عن حال الكافرين مع الرَّسول ﷺ والقرآن الكريم بالفعل ﴿يَكِيدُونَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّهم لا يَكْتَفونَ بالكُفْر وعدَمِ الإيمان، ولكنَّهم يُدَبِّرون الحيَلَ الكاذِبَة، فيَتَّهمون الرَّسول ﷺ والوحيَ النّازل إليه بأبْشَعِ التُّهَم، وأخَسِّ الصِّفات، ويَجْتَهِدون في إبطال أمْرِه وإطفاء نورِه ما وسِعَهُم الجهد[1]، وأوثِر التَّعبير به مُضارِعًا لِما يُفيدُه - بجانِبِ الاسْتِمْرار التَّجدُّديِّ - من استحضارِ صورَتِهم وهم يكيدونَ للرَّسول ﷺ والقرآن كأنَّها حاضِرَةٌ ماثِلَةٌ، تَدْعو للاستغرابِ والانْدِهاشِ مِن كُفْرِهم وكَيْدِهم واخْتِلاقِهم.

موقِعُ ﴿كَيْدًا﴾ الإعرابيُّ، ودلالَةُ تَنْكيرِه:

كيدُ الكُفّار عظيمٌ، مُتَنَوّعُ الوسائل، كثيرُ الأساليبِ

قولُه: ﴿كَيْدًا﴾ مفعولٌ مُطْلَقٌ لِمُضارع الكيدِ المُسنَد إلى ضميرِ الكُفّار ﴿يَكِيدُونَ﴾، وأوثِرَ التَّعبير به لتأكيد استمرار الكُفّار في الكيد، وعدم توقُّفهم أو تراجعهم عنه، وفي تنكيرِه دلالَةٌ على أنَّه كيدٌ عظيمٌ، متنوِّعُ الوسائلِ، كثيرُ الأساليب؛ إذْ يَكيدونَ في إبْطالِ أثَرِ القُرآن وإطفاء نورِه بإثباتِ الرَّسول ﷺ أو إخراجِه أو قَتْلِه أو التَّنفير منه، وغَيْرِ ذلك ممّا يَصْرِف العامَّة عنه وعن دعوتِه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: 30][2].

وَجْهُ العَطْفِ بالواوِ:

سيواجه الحق مكرَ الكافرين بمَكْرٍ، وكيدَهم بكَيْدٍ، وتدبيرَهم بتدبيرٍ

الواو في جُملةِ ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ لعطف ما بَعْدَها على ما قبلها عَطْفَ الجُملةِ على الجُملة، وأوثِرَ العَطْفُ بالواو التي تُفيدُ المُصاحبَةَ؛ تَطْمينًا للرَّسول ﷺ وتثبيتًا لَهُ وللمُؤْمنين معَهُ؛ لدلالة العَطْفِ على أنَّ اللّه تعالى لن يَتْرُكَ الرَّسول فردًا في مواجهة كيدِ الكافرين، ولن

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 384، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 142.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 384.

يَدَعَهُم يَمْكرون به وبالمؤمنين معه، ولكنَّه سُبْحانَه سيواجه مكرَهم بمكرٍ، وكيدَهم بكيدٍ، وتدبيرَهم بتدبيرٍ، وأنَّى لَهُم بذلك؟ فالواقع "أنَّه لا قوَّة لهم أصلًا على ذلك، ولا ناصِرَ لَهُم بوَجْهٍ مِنَ الوُجوهِ"[1].

معنى ﴿وَأَكِيدُ﴾، ودلالَةُ التَّعْبير بِهِ مُضارعًا:

رعايَةُ الله تَعالى لـرَسـولـهِ ﷺ والمؤمنين دائمَةٌ لا تَنْقَطِعُ

التَّعبيرُ عَن مُساندَةِ الله تَعالى لرَسولِهِ ﷺ بفِعْلِ الكَيْدِ يعني: استدراجَ الكافرين والإملاءَ لهم؛ ليتمَّ أخذُهم بمَكْرِهم وكيدهم أخْذًا لا هوادةَ فيهِ ولا شَفَقَةَ، والمعنى: "أُقابِلُهُم بكيدٍ متينٍ، لا يُمكنهُم ردُّه، حَيْثُ أَسْتَدرِجُهم من حيثُ لا يعلمون"[2]، وعبَّر عنه بصيغةِ المُضارع للدَّلالة على أنَّ رعايةَ الله تعالى للرَّسول ﷺ والمؤمنين لَن تَتَوَقَّف ولن تَنْقَطِع، وأنَّها مُتجدِّدة بتَجَدُّد مَكْرِ الكُفّار، مُستمرَّة باستمرارِ كَيْدِهم وتآمُرِهم، وفيه مِن رَدْعِهم وإرْهابِهم ما يَدْعوهُم إلى الكفِّ عمّا هُم فيهِ مِن مَكْرٍ وكيدٍ، والإيمان برسولِ الله ﷺ واتِّباع الوَحْيِ المُنَزَّل إليهِ.

دلالةُ إسنادِ فِعْلِ الكَيْدِ إلى ضمير الحقِّ، ولطيفة إفرادِ الضَّمير:

الله تعالى هو الـذي يـتـولَّى كفايةَ الرَّسول ﷺ ومَـنْ معه كـيـدَ الكافرين بنَفْسِه

أسنَدَ النَّظمُ فعلَ الكيدِ المُضارعَ إلى ضمير الحقِّ بصيغةِ التَّكلُّم فقال: ﴿وَأَكِيدُ﴾ زيادةً في تَطْمينِ الرَّسول ﷺ ومَن مَعَهُ؛ لدلالَتِه على أنَّ الله تعالى هو الذي يتولَّى تدبيرَ كِفايَتِهم كيد الكافرين بنَفْسِه، ولَم يَتْرُك ذلك لأحدٍ مِن خَلْقِه، وكفى بالله تعالى وكيلا، وكفى به وليًّا ونصيرًا، وأوثِر التَّعبير عن الضَّمير بصيغة الإفرادِ، فقال تعالى: ﴿وَأَكِيدُ﴾ دون (نكيد)؛ للإشارة إلى هوانِ أمْرِهم على الله تعالى، وتفاهة كَيْدِهم مَهْما حشَدوا له، ومَهْما جَمَعوا مِن أجْلِه.

موقِع ﴿كَيْدًا﴾، وسِرُّ تكرارِهِ نكرَةً:

قوله: ﴿كَيْدًا﴾ مفعولٌ مُطْلَقٌ لمُضارع الكَيْدِ المُسْنَد إلى ضميرِ

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 384.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 142.

الحقِّ ﷻ، وأوثرَ تكرارُهُ وتَنْكيرهُ مَعَ قُرْبِ العَهْدِ به؛ لتأكيد أنَّ رعاية اللّه تعالى لرسولهِ ﷺ لَن تَنْتَهيَ ولَن تتَوَقَّف، وأنَّها رعايةٌ عظيمةٌ تفوقُ مكرَ الكافرينَ وكيدَهم في العظمَةِ والأثر، فليس ثمَّة مُقارنةٌ بَيْنَ كيدِهم وكيدِ اللّه تَعالى الذي بيدِهِ كلُّ شيء، ولا يَسْتَعْصي عليه أيُّ شيء، ما يدلُّ على أنَّه لا طاقة لهم به، والمعنى: وأكيدُ بإتمام اقْتداري، باسْتِدْراجي لَهُم إلى تَوَغُّلهم فيما يُغْضِبُني؛ ليَكْمل ما يوجِبُ أخْذي لَهُم من حيثُ لا يَشْعُرون[1].

لا طاقةَ للكافرين بمواجهَةِ كَيْدِ ربِّ العالمينَ

بلاغَةُ التَّناسُبِ في لفظ الكيدِ:

الكيدُ: التَّوصُّل بالأسباب الخفيَّة إلى الإيقاع بالخَصْم[2]، فكيدُ الكافرينَ يُريدون به الإيقاعَ برسول اللّه ﷺ والمؤمنينَ مَعَهُ بأنواعٍ مِنَ المكايدِ والحيَلِ، والكيْدُ الإلهيُّ جاءَ على سبيلِ المُناسبَةِ لكَيْدِهم، فهو كيدٌ مُقابلَ كيدٍ، مع بُعْدِ ما بَيْنَ الحقيقَتَيْنِ، فكيدُ الكُفّار يُناسِبُ عَجْزَهم وضعْفَهم، وكيد اللّه تعالى يليق بجلالِهِ وعظمَتِهِ وكبرئيائِهِ، والكَيْدُ في مَحَلِّه صفةُ كمالٍ يُحْمَدُ عليها كما في الكَيْدِ المُضافِ إلى اللّه تعالى، بخلاف الكَيْدِ الواقِعِ في غير محلِّه، كَكَيْدِ الكُفّار، فإنَّه صفةُ نقصٍ يُذمُّ صاحبُها[3].

سُمّيَ جزاءُ الكُفّارِ كيدا؛ لأنَّه خفيٌّ عنهم، ومكروهٌ إليهم

بلاغَةُ التَّعبير بجُمْلَةِ الكَيْدِ الثّانية:

في قول اللّه تعالى: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ إبرازٌ لعناية اللّه تعالى برسولهِ ﷺ، وتسليتُه وتطمينُه إلى الدِّفاع عنه، وتهديد الكُفّار بعِقابِهِم عقابًا شديدًا مُباغِتًا على ما يَفْعَلونَهُ معَ الرَّسول ﷺ، وما يقولونه في حقِّ الوحي النّازل إليه، لعَلَّهم يفيقون ويَرْتَدِعون.

تطمينُ الرَّسول ﷺ وتهديدُ الكافرين وإنذارُهم؛ لعلَّهم يفيقون ويرتدعونَ

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 384.
(2) ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية: 1/ 335.
(3) ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية: 1/ 335 - 336.

معنى الفاء في ﴿فَمَهِّلِ﴾:

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ هي فاء السَّببيَّة وترتيبُ ما بعدها على ما قبلها؛ فإنَّ الإخبار بتَوَلّي اللّه سُبحانه لكَيْدِهم بالذّات ممّا يوجِبُ إمهالَهم وتَرْكَ التَّصدّي لمُكايَدَتِهم قَطْعًا، ما يعني أنَّه لا اعْتِبارَ بكَيْدِهم، ولا قَلَقَ من مَكْرِهم[1]، ويجوزُ أن تكون الفاءُ لتَفْريعِ الأمْرِ بالإمْهالِ على مجموعِ الكلام السّابق من قولِه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾ بما فيه من تصريحٍ وتعريضٍ وتَبْيينٍ ووَعْدٍ بالنَّصر؛ أي: فلا تَسْتَعْجِل لَهُم بطلَبِ إنزالِ العقاب، فإنَّه واقِعٌ بهِم لا محالة[2]؛ وجائزٌ أن تكون الفاءُ هي الفصيحةَ الدّالَّةَ على وجود شَرْطٍ مَحذوف تقديره: إن شئتَ أن تَرى مغبَّةَ أمرِهم؛ فلا تستعجلْ بالانتقامِ مِنْهُم[3].

الإخبار بتَوَلّي اللّه سُبحانه لكَيْدِهم ممّا يوجِبُ إمهالَهم وتَرْكَ التَّصدّي لمُكايَدَتِهم.

غرَضُ الأمرِ بالإمْهالِ، ولطيفَةُ تَضْعيفِ عَيْنِهِ:

قوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أسلوبُ أمْرٍ، غَرَضُهُ توجيهُ النَّبيِّ ﷺ وإرشادُه إلى التَّريُّث والتَّمهُّل والصَّبر على كيد المُشركين ومَكْرِهم، إلى أن يَرى بنَفْسِه انتقام اللّه تعالى منهم، والمعنى: انْتَظِر ما سَيَحِلُّ بهم ولا تستعجِل لَهُم[4]. وأوثِر تضعيفُ عَيْنِه للتَّعظيم والتَّفخيم، والمعنى: أمْهِلْهُم إمْهالًا عظيمًا بالتَّدريج[5].

المُطْمَئِنُّ لحصول الشَّيْءِ لا يَسْتَعجِلُهُ

دلالةُ التَّعبير بـ ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ اسمَ فاعِلٍ:

أوثِر التَّعبير عن المفعولِ بوَصْفِ ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ للتَّشنيع بهِم وتقبيحِ صَنيعِهِم والإشارة إلى أنَّ الكُفْرَ هو السَّبب الرَّئيس في وعيدِ اللّه تعالى بتَعْذيبِهِم والانتقام مِنْهُم، وأوثِر التَّعبير به اسمًا مُشتقًّا

التَّشنيعُ بفِعْلِ المُكَذِّبين، وتقبيحُ صَنيعِهِم، وبيانُ سَبَبِ الوَعيدِ بتَعْذيبِهِم

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 385، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 142.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 268.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 443.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 269.
(5) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 385.

للدَّلالة على رُسوخهم في الكُفْرِ، وضُلوعهم في عداوة الرَّسول ﷺ وإنكار جدّيَّة القرآنِ الكريم، والافتراء بكونه هَزْلًا، واختيرَ التَّعبيرُ به دون (المُكذِّبين) لعِلْمِ الله تعالى أنَّ مِن المُكَذِّبين مَن يدخل الإيمانُ قلبَه، فليس مُستحِقًّا لإيقاع مثل هذا التَّهديد، والمعنى: فلا تَدْعُ عليهم ولا تستعجلْ لهم بالإهلاك، فإنّا لا نعجل؛ لأنَّه لا يعجل بالعقوبة إلّا مَن يخافُ الفوتَ[1].

بلاغَةُ التَّكرار في الآية:

قولُه: ﴿أَمْهِلْهُمْ﴾ أمرٌ ثانٍ بإمهالِ المُشْركين، وهو توكيدٌ لفظيٌّ لفعْلِ الأمْرِ بالتَّمهيل، يُقْصَدُ منهُ زيادَةُ تَطْمينِ النَّبيِّ ﷺ وتبشيرُه بأنَّ عذاب الله تعالى نازلٌ بهم لا محالة، وتوجيهٌ لَهُ إلى المُضيِّ في طريق دعوته، والاستمرار في القيام بمُهِمَّته غير عابئٍ بكَيْدِهم وغير مُكْتَرِث بمكرهم، فوجهُ الجَمْعِ بينَ ﴿فَمَهِّلِ﴾ و﴿أَمْهِلْهُمْ﴾ وتكرار الأمر مع عدم الاكتفاءِ بالأوَّل؛ هو التَّأكيد لقَصْدِ زيادة التَّسكين، وخولِف بَيْنَ الفِعْلَيْن في التَّعدية مرَّة بالتَّضعيف وأخرى بالهَمْزِ لتَحْسين التَّكرير وتنويعِه[2]، وكذلك لمّا كانت صيغةُ التَّفعيل رُبَّما أفهمت التَّطويل؛ أُكِّد ذلك مُجرَّدًا للفعل دلالة على أنَّ المُراد بالأوَّل إيقاع الإمهال بالتَّدريج؛ ليطمئنَّ المُمَهَّلُ بذلك وتصير له به قوَّة عظيمة وعزيمة صادقة؛ لأنَّ ما يقولونه ممّا تَشْتَدُّ كراهة النُّفوس له، فلا يَقْدِر أحَدٌ على الإعراض عنهُ إلّا بمعونَةٍ عَظيمَةٍ[3].

لا يقدِر أحدٌ على الإعراض عن الإيذاءِ إلّا بمعونة عظيمةٍ

موقعُ ﴿رُوَيْدًا﴾ الإعرابيُّ ودلالتُه:

قوله: ﴿رُوَيْدًا﴾ مصدرٌ مُؤكِّد للأمر الثّاني بالإمهال، وهو تصغيرُ (اروادًا) تصغيرُ ترخيمٍ؛ وهو كلمة تُفيدُ الرِّفق وقلَّةَ المُهْلة الممنوحة

إمهالُ الكافرين لا يطول، ونزولُ العذابِ بهم قريبٌ

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 385.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 268.
(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 386.

لَهُم، وأوثر التَّعبير به للدَّلالة على اقتراب نُزول العذاب بالكُفّار، وأنَّه لن يتأخَّر، والمَعْنى: أمْهِلْهُم إمْهالًا يسيرًا، فستكون عن قريبٍ لَهُم أمورٌ تَشْفي الصُّدور[1]، أو انْتَظِر ما سَيَحِلُّ بهم، ولا تستعجِل لهم، انتظارَ تربُّصٍ واتّياد، فسيَتَحَقَّق ما يَحِلُّ بهِم مِنَ العقاب؛ لأنَّ المُطْمَئِنَّ لحصول شيء لا يَسْتَعْجِلُه، ويجوز أن يكون ﴿رُوَيْدًا﴾ اسْمَ فعلٍ للأمر، كما في قولهم: روَيْدَك؛ لأنَّ اقترانَه بكاف الخِطاب إذا أُريدَ به اسمُ الفِعْل ليسَ شَرْطًا، ويكون الوقْفُ على قوله: ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، و﴿رُوَيْدًا﴾ كلاما مُستَقِلًّا، فليس وجود فعلٍ مِن معناه قَبْلَهُ دليلًا على أنَّ المُراد بهِ المَصْدَر؛ أي: تَصْبر ولا تستعجل نزول العذاب بهم، فيكون كنايَةً عَنِ الوَعْدِ بأنَّه واقِعٌ لا محالة[2].

مُناسبةُ خاتِمَةِ السّورة لمَطْلَعِها:

بُدئت سورةُ الطّارق بالقَسَم على أنَّ أعمال كُلِّ نفسٍ مُسجَّلةٌ محفوظةٌ، وخُتمت بالأمر بإمهال الكافرين والصَّبر على أذاهُم إلى أجلٍ قريب، "وهذا الآخر هو المُراد بما في أوَّلها مِن أنَّ كلًّا مِن الكافرين ومِن غَيْرِهِم محفوظٌ بحِفْظِه، مضبوطة أقوالُه وأفعاله وحَركاتُه وسَكناتُه وأحواله، وذلك يَسْتَلْزِمُ أنَّهم في قَبْضَةِ اللّه تعالى"[3]، وأنَّه سُبْحانه قادرٌ على إنزال ما يستحِقّون مِنَ العذاب في وقتٍ لَن يطولَ انْتِظارُه.

النّاس جميعًا في قبضة الله تعالى، وهو سُبحانه مُحْصٍ عليهم أعمالَهم

❁ الفُروقُ المعجميّة:

الكَيْد والمكْر والحيلة والتَّدبير:

الكيدُ هو التَّدبير الضّارُّ المَمْزوجُ بالمَكْرِ والفِكْرِ، والمكرُ مثلُ الكيد إلّا أنَّه يخلو من الفِكْر[4]، والحيلة: نوعٌ مِنَ التَّدبير قد يترَتَّب عليه

الكيدُ هو الأنسبُ لتوصيفِ حال المُشركين، والأدقُّ في توصيف ما يَنْتَظِرُهم مِن العذاب

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 386.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 268.
(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 386.
(4) العسكري، الفروق اللُّغويّة، ص: 259.

ضرَرٌ أو نَفْعٌ، ما يعني أنَّ الضَّرر ليس شَرْطًا فيهِ[1]، أمّا التَّدْبير فهوَ تَقْويم الأمر على ما يكون فيهِ صَلاحُ عاقِبَتِه[2]. ولمّا كان واقِعُ المُشْرِكين أنَّهم يَكْفُرون بالوحي، ويعمَلون لأجْلِ صَرْفِ النّاس عن الرَّسول ﷺ، ويَبْذُلون لذلك جُهْدَهُم، ويُبالِغون لهُ في إعمال فِكْرِهِم؛ كان التَّعبير بـ ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ هو الأنسبَ في توصيف ذلك، ولمّا كان جَزاؤُهُم عَلى ذلك عِقابًا أليمًا وعذابًا شديدًا، وكان غيرَ معلوم الماهيَّة والموعِد؛ كان التَّعبير بقولهِ تَعالى: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ هو الأدقَّ، والأكثَرَ تَهْديدًا ورَدْعًا.

المَهْلُ والبُطء ورويد والتَّريّث والأناة والتَّروّي:

عقابُ الكافرين لا يتأخَّر كثيرا بأيِّ حالٍ من الأحوال

المَهْل يعني التَّأنّيَ وعدمَ الاسْتِعْجال، والبُطْء: نقيضُ السُّرعة[3]، و(رُوَيْد) تصغيرُ (ارواداً) تصغيرَ ترخيم، كلمةٌ تُعطي الرِّفق وقِلَّة مدَّة الإمهال، والتَّريُّث: أخْذُ الوقت الكافي للتَّفكير والتَّأمُّل، وهو خلاف العَجَل[4]، والأناة: التَّمهُّل في تَدْبير الأُمور ومُفارقة التَّعْجيل[5]، والتَّروّي هو النَّظر في الأمر والتَّفكير فيه قَبْلَ اتِّخاذ القَرار[6]، ولمّا كان عذاب الكافرين حاصِلًا لا محالَة، ولكن في الوقت الذي حدَّده الله تعالى، وبعدَ اسْتِحْقاقِهم لَهُ اسْتِحْقاقًا يوجِبُ وُقوعَهُ وعدم التَّراجع عنه؛ كان التَّعبير بفِعْلِ الإمهال، و﴿رُوَيْدًا﴾ هُما الأنسب من بَيْنِ المُفردات المذكورة؛ لدلالَتِهما على ضرورةِ تَرْكِ الانْشِغالِ بأمْرِ العِقاب، وترك التَّفكير في ماهيَّته ووقْتِه، وتفويض ذلك كُلِّه لله تَعالى، مع الإعلام بأنَّه لن يتأخَّر كثيرًا.

(1) العسكري، الفروق اللُّغويّة، ص: 260.
(2) العسكري، الفروق اللُّغويّة، ص: 191.
(3) الجوهري، الصّحاح: (بطء).
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ريث).
(5) العسكري، الفروق اللُّغويّة، ص: 204.
(6) الجوهري، الصّحاح: (روى).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والستون،
سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 66 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-45-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 66 : المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-45-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6448894 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"